

تقرأ بعد صلاة العشاء يوم الخميس ٢٨/٣/٢٠١٩م

فَضْلُ الْمُعَلِّمِ وَأَهْمِيَّةُ تَوْقِيرِهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ أَتْبَعَ
هُدَاهُ أَمَّا بَعْدُ ..

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: إِنَّ الْمُعَلِّمَ يَتَبَوَّأُ مَنْزِلَةً رَفِيعَةً فِي الْإِسْلَامِ، فَهُوَ يَثْمُومُ
مَقَامَ الْأَنْبِيَاءِ فِي تَعْلِيمِ النَّاسِ وَإِرْشَادِهِمْ إِلَى مَا يَنْفَعُهُمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ،
يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: "فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ
وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحَوْتَ،
لِيُصَلُّوا عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الْحَيِّرِ"^(١).

وَلَقَدْ حَتَّ سَلَفُنَا الصَّالِحُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى تَوْقِيرِ الْمُعَلِّمِ وَاحْتِرَامِهِ،
والتواضع له لِمَا يَحْمِلُهُ مِنْ رِسَالَةٍ جَلِيلَةٍ مِنْ أَجْلِ إِخْرَاجِ النَّاسِ مِنْ ظُلُمَاتِ
الْجَهْلِ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ، يَقُولُ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: "تَعَلَّمُوا
الْعِلْمَ وَعَلَّمُوهُ النَّاسَ، تَعَلَّمُوا الْوَقَارَ وَالسَّكِينَةَ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَعَلَّمْتُمْ مِنْهُ"^(٢).
وإنَّ احْتِرَامَ الْمُعَلِّمِ، لَيْسَ بِالْأَمْرِ الَّذِي يُمَكِّنُ التَّجَاوُزَ أَوْ الْاسْتِغْنَاءَ عَنْهُ، إِنَّهُ
أَسَاسٌ فِي التَّرْبِيَةِ، وَجَوْهَرٌ فِي نَجَاحِ التَّعْلِيمِ، فَاحْتِرَامُ الْمُعَلِّمِ عِلْمٌ نُبْلٌ وَتَفَوُّقٌ
وَإِيمَانٌ.

(١) رواه الترمذي (٢٦٨٥).

(٢) المدخل إلى السنن الكبرى (٦٢٩).

فهذا نبيُّ الله موسى عليه السلام، وهو أحدُ أولي العزم من أنبياءِ الله عليهم السلام، يسألُ الحَضِرَ سُؤَالَ المُلاطِفِ المتعلِّم، والمتواضِعِ المبالغِ في حُسن الأدبِ، قال تعالى: { قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا } [الكهف: ٦٦].

وقد ضَرَبَ الأوَّلُونَ من هذه الأُمَّةِ أَرْوَاعَ الأَمْثَلَةِ فِي تَوْقِيرِ المُعَلِّمِينَ، فَعَنْ مُغَيَّرَةَ -تَلْمِيذِ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ- قَالَ: "كُنَّا نَهَابُ إِبْرَاهِيمَ كَمَا يُهَابُ الأَمِيرُ"^(١).

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ -تَلْمِيذُ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ-: "وَاللَّهِ مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ المَاءَ وَالشَّافِعِيَّ يَنْظُرُ إِلَيَّ؛ هَيْبَةً لَهُ"^(٢).

وَقَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ -وقد أَخَذَ العِلْمَ عَلَى الإِمَامِ مَالِكٍ-: "كُنْتُ أَصْفَحُ الوَرَقَةَ بَيْنَ يَدَيْ مَالِكٍ صَفْحًا رَقِيقًا -هَيْبَةً لَهُ-؛ لِئَلَّا يَسْمَعَ وَقَعَهَا"^(٣).

أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللهِ: إِنَّ عَلَى الطَّالِبِ حُقُوقًا تُجَاهَ مُعَلِّمِهِ، يَنْبَغِي حِينَ النَّظَرِ فِيهَا تَذَكُّرُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ"^(٤)، وَمِنْ تِلْكَ الحُقُوقِ: تَأْدُبُ التَّلْمِيذِ فِي جُلُوسِهِ بَيْنَ يَدَيْ مُعَلِّمِهِ، وَالإِقْبَالَ عَلَى مَا يُعَلِّمُهُ إِيَّاهُ بِوَجْهِهِ وَجَسَدِهِ، وَإِظْهَارُ الإِهْتِمَامِ بِمَا يَقُولُهُ، وَعَدَمُ الانشغالِ بِأُمُورٍ أُخْرَى؛ كالمَحَادَثَاتِ الجَانِبِيَّةِ، وَالنَّظَرِ إِلَى المَهَاتِفِ، فَضلاً عَنِ التَّوَمِّ أَمَامَهُ.

(١) السنن الكبرى (٦٧٥).

(٢) تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة ٩٨.

(٣) المصدر السابق ص ٩٨.

(٤) رواه البخاري.

كَذَلِكَ عَلَى الطَّالِبِ أَنْ يَهْتَمَّ اهْتِمَاماً بِالْغَا بِإِشَارَةِ مُعَلِّمِهِ وَتَوْجِيهِهِ لَهُ - مَا لَمْ يَأْمُرْهُ بِمَعْصِيَةٍ -، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ فِي الْإِحْتِرَامِ وَالتَّقْدِيرِ.

وَلَا يَنْبَغِي لِلطَّالِبِ أَنْ يُنَادِيَ مُعَلِّمَهُ بِاسْمِهِ الْمَجْرَدِ، بَلْ يَنَادِيهِ بِمَا يُجِبُّهُ مِنَ الْأَلْقَابِ وَالْكُنَى، فَذَلِكَ مِنْ تَمَامِ الْإِحْتِرَامِ، وَكَمَالِ التَّوْقِيرِ لِلْمُعَلِّمِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَرَفَّقَ عِنْدَ سُؤَالِهِ، وَأَنْ يُحَسِّنَ الْإِسْتِمَاعَ إِلَى جَوَابِهِ وَكَلَامِهِ، وَأَنْ لَا يُقَاطِعَهُ فِي الْحَدِيثِ أَوْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَسْخَرَ مِنْهُ إِنْ رَأَى مِنْهُ زَلَّةً، بَلْ يُبَيِّنُ لَهُ الصَّوَابَ بِرَفْقٍ وَلِينٍ دُونَ تَجْرِيحٍ أَوْ تَشْهِيرٍ، وَلَا يُكْتَنِرُ الْجِدَالَ مَعَهُ.

وَمِنْ حَقُوقِ الْمَعْلَمِ أَيْضاً: أَنْ يَصْبِرَ الطَّالِبُ عَلَى جَفْوَةِ تَصُدُّرٍ مِنْ مُعَلِّمِهِ أَوْ غَضَبٍ وَنَحْوِهِ، وَلَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنِ الْإِسْتِفَادَةِ مِنْ عِلْمِهِ قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ:

وَمَنْ لَمْ يَذُقْ مَرَّ التَّعَلُّمِ سَاعَةً... تَجَرَّعَ ذُلَّ الْجَهْلِ طَوَلَ حَيَاتِهِ

وَيَنْبَغِي عَلَى الطَّالِبِ - أَيْضاً - أَنْ يَشْكُرَ مُعَلِّمَهُ إِذَا وَجَّهَهُ لِلْفَضَائِلِ، وَحَذَّرَهُ مِنَ النَّقَائِصِ، كَمَا إِذَا أَصَابَهُ كَسَلٌ أَوْ فُتُورٌ، أَوْ عُجْبٌ، أَوْ سُوءٌ تَصَرَّفَ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى تَوْجِيهِهِ وَتَنْبِيهِ.

وَمِنْ أَهَمِّ وَأَفْضَلِ مَا يُقَدِّمُهُ الطَّالِبُ لِمُعَلِّمِهِ الدَّعَاءُ لَهُ بِالْخَيْرِ؛ فَذَلِكَ مِنْ أَرْفَعِ وَأَطْيَبِ الْإِحْسَانِ الَّذِي يُجَارَى بِهِ أَهْلُ الْإِحْسَانِ عَامَةً، فَكَيْفَ بِالْمَعْلَمِ، الَّذِي يُعْتَبَرُ إِحْسَانُهُ مِنْ أَجْلِ أَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ وَأَنْفَعِهَا؟ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى

تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ"^(١)، وَمَنْ تَمَامِ الْوَفَاءِ لِلْمُعَلِّمِ أَنْ يَسْتَمِرَّ الطَّالِبُ فِي
الدَّعَاءِ لَهُ حَتَّى بَعْدَ مَفَارِقَتِهِ لَهُ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ: بِمَثَلِ هَذِهِ الْأَدَابِ وَالْأَخْلَاقِ يَرْتَقِي طَالِبُ الْعِلْمِ، وَيَنَالُ
شَرَفَ الْعِلْمِ، وَيَصِلُ إِلَى مَنْزِلَةِ الْعُلَمَاءِ، فَلِذَا عَلَيْنَا أَنْ نَلْتَزِمَ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ فِي
مُعَامَلَةِ الْمُعَلِّمِينَ وَالْمُرْتَبِينَ، وَأَنْ نَعْرِسَهَا عَرَساً رَاسِخاً فِي نُفُوسِ النَّاشِئَةِ
وَالْمُتَعَلِّمِينَ، حَتَّى تَصِيرَ عِنْدَهُمْ طَبِعاً وَعَادَةً، وَخُلُقاً دَائِماً فِي حَيَاتِهِمْ.
نَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يُؤَفِّقَنَا لِتَوْقِيرِ مُعَلِّمِينَا وَاحْتِرَامِهِمْ وَأَنْ يَرْزُقَنَا الْوَفَاءَ
لَهُمْ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ.

(١) رواه أبو داود في سننه (١٦٧٢).